

محمد منصور

إن العالم ليفتح الطريق للمرء الذي يعرف إلى أين هو ذاهب؟؟
و قد كان من هؤلاء الإمام حسن البنا؛ الذي اختار دربه بنفسه، و سار فيه سراعاً؛ فصار نوراً و ناراً و غنوةً و عيباً؛ حتى قضى شهيداً، مرحباً بالمنون، بعدما لبى نداء الإسلام في عصره، و واجه بجرأة و هو معتزٌ بدينه، معتدٌ بشرف الانتساب إليه، فخورٌ أيما فخر بما يحمله؛ لا يرى فيه نقيصة؛ إذ كان يحمل ضميراً حراً عزيزاً، محترماً كدينه و عرضه؛ لا يُساوم عليه، و لا يُباع بأي ثمن، و قد فضل الموت على كذبةٍ أو خيانةٍ يخلص بها نفسه .
انطلق بدعوته؛ بعدما علم أن الناس في حاجة إلى رجل ذي قلب؛ يفيض من قلبه على قلوب من حوله، و من هذا الفيض الرباني يفيضون هم على من حولهم، و بهذا يتحولون من حال إلى حال، و يخرجون من الظلمات إلى النور؛ فجعل شعاره: سنقاتل الناس بالحب؛ ليدركوا مَنْ هم ؟ و ماذا يريدون ؟ و من أين تكون البداية ؟
و قد كان - حقاً - ملهماً؛ إذ بنور بصيرته كشف للناس معالم الطريق؛ بعدما رأى الإنسانية معذبة شقية قلقة مضطربة، و قد اكتوت بنيران المطامع و المادة؛ فهي في أشد الحاجة إلى عذب من سؤر الإسلام الحنيف؛ يغسل عنها أوضار الشقاء، و يأخذ بها إلى السعادة .
فأفتى فتوى عصره بعد سقوط الخلافة و انقراط عقد المسلمين، أن العمل الواجب - الآن - إعادة المشروع الإسلامي؛ الذي نفذ محمد - صلى الله عليه و سلم - و أشرف عليه رب العزة بنفسه؛ فكان حسن البنا صدى هذا المشروع في عصرنا؛ فعمل على استكمال الباقي من الإسلام المعطل و دعم الموجود منه .
و ما حمله على هذا إلا رغبة أكيدة في توجيه الأمة توجيهاً صحيحاً يقيمها على أفضل المسالك، و يرسم لها خير المناهج، و يقيها الزلزل و الاضطراب، و يجنبها التجارب المؤلمة الطويلة، و ذلك بالعودة إلى المعين الصافي معين الإسلام، عن طريق إيجاد المفقود منه و دعم الممكن الموجود .
و قد كانت هذه خلاصة فكره و ثمرة تجاربه و اطلاعه على تجربة الإسلام النموذجية التي قام بها محمد - صلى الله عليه و سلم - و خلاصة قراءة تاريخ الدعوات و الثورات و نهضات الأمم و الاستفادة من مجهودات و أفكار السابقين والمعاصرين له أمثال: جمال الدين الأفغاني و محمد عبده و رشيد رضا و عبد الرحمن الكواكبي، وغيرهم المصلحين المخلصين.
و أجمل ما في الأستاذ البنا أنه تلافى ما وقع فيه السابقون و خرج منه بطريقة عملية لتنفيذ المشروع الإسلامي بأن :
1. يضع خطة مكتوبة، شملت رسالة التعاليم؛ كي لا تضيع الفكرة و طريقة العمل من بعده؛ مثلما حدث لمن سبقوه؛ فيختار الأتباع ماذا يفعلون من بعده ؟ و لكي يستكملوا البناء؛ فيبدؤون من حيث انتهى، و هكذا من سيأتي بعدهم .
2. يربي رجالاً يحملون هذا المنهج عن عقيدة و اقتناع، و لأجل هذا ترك تأليف الكتب؛ ليؤلف الرجال الذين يقذف بهم في كل بلدة؛ فيحيونه - بإذن الله - بالقرآن .
ذلكم الأستاذ حسن البنا، الذي عرف طريقه حقاً، و حدد هدفه جيداً؛ فاندفع إليه بكل ما أوتي من قوة، فلم يخلق العداوات، و استثمر كل خير في السامعين؛ فكان نوراً لنا و ناراً على أعدائنا .
رحمه الله، و شكر له؛ فقد كان الإسلام مفتاحه للقلوب؛ فشاد به صرحاً باقياً إلى الآن هو جماعة الإخوان المسلمين فكان حقا البنا حسن .